توحُّد الامم

بحسب ناموس التجمع العام

في الخليقة ناموس شامل يربط اجزاءها بعضها ببعض وتتمشّى عليهِ كل حركة فيها . وهو اكثر وضوحاً وعملاً في الخلائق الحية . فاذا بحثنا عنهُ في تاريخ الاحياء الطبيعي استطعنا ان نستخرج حقائق راهنة يبنى عليها درس الاحوال الهيئة الاجتماعية الحاضرة والمستقبلة . وهاك خلاصة مباحث العلماء عنهُ في الاجسام الحية ثمَّ في الهيئة الاجتماعية

١ — الهيئة الاجتماعية في الجسم الحي

نظامات الجسم الحي * تقوم حيوية الجسم الحي باعمال نظامات كثيرة فيهِ كل نظام منها يقوم بعمل خاص . ولكن اعمالها جميعاً متجهة الى غاية واحدة هي ابقاء الجسم وتجديد حيويتهِ

فالنظام العضلي يقوم بالحركة ونتيجة عملهِ الرئيسية جلب مواد الغذاء الى الجسم واعداد جميع حاجياتهِ الاخرى التي تؤول الى حفظ حياتهِ كالكساء والمأوى وغيرهما

والنظام الهضمي هو المصنع الذي تُعدُّ فيهِ تلك المواد وتهيأُ للتغذية . فالفم آلة سحق المواد . والمعدة والامعاء المعمل الكيماوي الذي يحول تلك المواد الى غذاء

ونظام التنفس هو المعمل الكيماوي الآخر الذي يُتمُّ تحويل تلك المواد الى دم يتمثل في الجسم

ونظام الدورة الدموية هو آلة توزيع ذلك الغذاء على جميع اعضاء الجسم كلٍّ بحسب حاجتهِ واستحقاقهِ جزاء عملهِ في اعداد ذلك الغذاء

والنظام الدماغي هو مركز الادارة المدبرة التي ترسل التعليمات الى جميع النظامات الاخرى لكي تقوم باعمالها متحدة متوافقة من غير ان يعارض بعضها بعضاً

والنظام العصبي هو آلة المفاوضة بين مركز الادارة وسائر النظامات

ونظام الحواس الخمس هو آلة الارشاد لنظام العضلي لانهُ الصلة القائمة بين مركز الادارة (الدماغ) والاشياء الخارجية عن الجسم

والهيكل العظمي هو وطن كل هذه النظامات

وهناك نظامات اخرى متممة لاعمال الجسم كنظام الافراز ونظام التناسل الخ

امة الجسم الحي * الجسم مؤلف من ملايين من الخلايا وكل خلية منها كائن حيٌّ قائم

بنفسه كالجرثومة الميكروسكوبية . غير انها متصلة بعضها ببعض اتصالاً ضرورياً لحياتها بحيث انها اذا انفكت بعضها عن بعض عدمت حياتها . فهي كافراد الناس المتحالفين المتعاونين على الحياة اذا انقطعوا بتاتاً عن معاملة بعضهم بعضاً هلكوا في برهة قصيرة . فكما ان حياة كل فرد متوقفة على حياة المجموع بحيث يضطر كل فرد ان يعمل بالاتفاق مع المجموع هكذا كل خلية في الجسم لتوقف حياتها على حياة الجسم كله وعليها ان تقوم بالعمل المفروض لها . وانما هي في الاصل وفي حد ذاتها كائن حي قائم بنفسه

واذا نظرت الى هذه الخلايا بالميكروسكوب وجدت ان القائمة منها بنظام واحد من النظامات المذكورة آنفاً متماثلة تماماً ولكنها تختلف عن خلايا نظام آخر . فكأن لكل نظام طائفة او جماعة من الخلايا مدربة على القيام بذلك النظام فتحسن العمل فيه ولكنها لا تحسن العمل في غيره

فترى مما تقدم ان الجسم الحي (ولاسيما الراقي كجسم الانسان) انما هو عبارة عن مملكة كبيرة تامة النظامات تجمع امة من الخلايا الحيوية التي لا يحصى عددها . وان هذه المملكة جارية على نظام الاشتراكية البحت بحيث يعمل كل فرد من افرادها بالتوافق مع الافراد الاخرى لغاية واحدة هي الحيوية . وهذه الحيوية توزع على الكل بالتساوي

التشابه بين مملكة الجسم الحي وجسم الهيئة الاجتماعية * اذا قابلنا بين نظامات الجسم الحي ونظامات الحكومات المتمدنة ولاسيما الدستورية منها وجدنا التشابه بين الجسمين او المملكتين شديداً جداً حتى يتبين لنا ان مبدأ نظامياً واحداً يشترك بين الجانبين ولسهولة هذه المقابلة نطلق على نظامات الجسم الحي اسماء نظامات الحكومات هكذا

الدماغ مجلس النظار وفيه لكل نظام من نظامات الجسم مركز او نظارة يرجع اليها (كما هو مشروح في فيزيولوجيا المجموع العصبي)

المجموع العصبي نظارة البريد او التلغراف او التلفون

النظام العقلي نظارة الاشغال والحربية

النظام الهضمي والنظام التنفسي نظارة الصناعة والصحة

نظام الدورة الدموية نظارة المالية

نظام الحواس الخمس نظارة الخارجية

وليس فيه نظارة للداخلية والبوليس لان الحكومة جمهورية محضة والامن مستتب وكل افراد الامة يعرفون واجباتهم وحقوقهم لانهم يعيشون بحسب مبدإ الاشتراكية البحت

ثم ان هذه النظامات مع استقلال كل منها بوظيفة تراها متداخلة بعضها ببعض حتى انك اذا اخذت اي عضو من اعضاء الجسد وجدت فيه فروع معظم تلك النظامات. خذ اليد مثلاً تجد فيها كثيراً من العضلات ومجموعة من الاعصاب وشبكة من الشرايين والاوردة وشيئاً من الهيكل العظمي. وخذ القلب تجد فيه كل هذه ما عدا العظم. ومعنى ذلك اشتراك جميع اجزاء الجسم في عمل واحد عظيم متعدد التركيبات لغاية واحدة عظمى هي الحيوية. وهذه الوحدة قد اضطرتها ان توزع العمل عليها كلها بحيث يقوم كل جزء منها بنوع واحد متمم حسب اهليته ولهذا تقسم العمل الى نظامات. والجراثيم العاملة في الجسم التي هي شعبة متفرقة في تلك النظامات

وعلى هذا النحو نرى ايضاً جميع نظامات الهيئة الاجتماعية متداخلة بعضها ببعض في المملكة المنتظمة فترى فروعاً لادارة البريد في كل بلدة وفروعاً للتلغراف واخرى للبوليس والقضاء الخ. ولو كانت المملكة اشتراكية بحتة وكانت جميع المصالح في يد السيطرة العليا (الحكومة) وكان جميع الناس مستخدمين في مصالح هذه الادارة لظهرت نظامات المملكة الاجتماعية منطبقة على نظامات الجسم الحي تمام الانطباق

كيف نشأت مملكة الجسم الحي * ثم ان هذه النظامات المتعاونة في الجسم الحي لم تنتظم في الاصل كما نراها الآن. بل تنظمت وتوسعت وترقت تدريجاً مع تعدد الجراثيم او الخلويصلات التي تتألف منها مملكة الجسم الحي على تمادي الزمان تبعاً لمقتضيات البيئة والاحوال التي تولد الحاجة

فالاحياء في اول عهدها كانت جراثيم بسيطة منفصلة متفرقة كالاميبا التي هي جرثومة واحدة ذات نظام واحد بسيط يقوم بعمل امتصاص الغذاء من الخارج وتمثيله رأساً في الجرثومة حتى متى بلغت هذه الجرثومة القصوى انقسمت الى قسمين كل منها جرثومة قائمة بنفسها على مثال امها

ولما تعددت الجراثيم وتنوعت بتنوع البيئات وتقلب الاحوال وتفاوت في القوة والاهلية حدث التنازع بينها طبعاً. فاقتضى الحرص على الحياة من جهة وطموح الحيوية الى الرقي من جهة اخرى ان تتعاون الجرثومتان او الجراثيم على تحصيل الغذاء ودرء الاذى. ولهذا صارت الجرثومة الواحدة متى تحولت الى جرثومتين بعد البلوغ تستمر جرثومتاها متحدتين متعاونتين. وعلى هذا النحو نشأت الاحياء المؤلفة من عدة جراثيم واستجد نظام آخر للتوالد غير نظام التوالد بالانقسام

ولما اتسعت مطامع تلك الاحياء واشتد تنازعها واسرعت الى السرعة في الحركة صارت تحتاج الى نظامات مختلفة متعددة لتستطيع القيام بهذه الحركة . وتعدد النظامات فيها يقضي بان يشتمل الجسم الواحد على عدة طوائف من الجراثيم وكل طائفة منها تقوم بنظام على هذا السنن ترقت الجراثيم الحية الى دود وسمك وبهائم الى ان نشأ الانسان

وليس غرضنا من هذا الايضاح بيان نظامات الجسم الحي من الوجهة الفسيولوجية ولا بيان تنوعه من الوجهة البيولوجية ولا اثبات رقيه من وجهة المذهب الداروني — ليس غرضنا شيئاً من ذلك لان لهذه الامور مباحث خاصة ليس هنا محلها وانما غرضنا الاسامي هو ان نبين ان العوالم الحية كلها جارية على سنة واحدة من ابسط الجراثيم الميكروسكوبية الى اكثرها تركباً وتعقداً كالانسان الى الامم الراقية المتمدنة — وهي تجمع الافراد في جماعات وتجمع الجماعات في جماعات اكبر منها وتحالفها وتعاونها على قواعد نظامية . ومتى درسنا نظامات الهيئة الاجتماعية الانسانية الحاضرة وجدنا انها توارثت هذه النظامات من الهيئة الاجتماعية الجرثومية . وبناء على هذا البيان نستطيع ان نحكم بما ستصير اليه الهيئة الاجتماعية في المستقبلين القريب والبعيد

مبادئ ناموس التجمع الاساسية * وقبل ان نخطو خطوة في هذا الحكم يجب ان نجمل تلك المبادئ التي نستخرجها من درس رقي الاجسام الحية من الوجهتين البيولوجية والفسيولوجية والتي ستكون قاعدة بحثنا في نظامات الهيئة الاجتماعية وهي كما يأتي : —

اولاً ان الافراد (سواء كانت جراثيم مفردة او متعددة متصلة) بدأت بالتنازع حين تكاثرت في البيئة الواحدة . وتنازعها اوجب تنوعها

ثانياً ان اختلاف البيئة وتقلب الاحوال اوجبا ذلك التنازع ايضاً

ثالثاً ان التنوع نفسه يزيد التنازع حدة وشدة لوجود التفاوت بين الاحياء في القوة والاهلية

رابعاً ان التنازع يدفع افراد النوع الواحد الى التحالف للتعاون في منازعة النوع الآخر

خامساً ان التحالف يفضي الى ترابط الافراد في جماعات . وهذا الترابط على نوعين ترابط متصل كترابط الجراثيم في جسم واحد . وترابط منفصل كترابط الاجسام في جماعة واحدة كجماعات النمل والنحل والبشر

سادساً ان التحالف اما بسيط وهو يحصر في افراد نوع واحد وترابطها المتصل او المنفصل في جماعة واحدة . او مركب وهو يشمل جماعات انواع مختلفة كطوائف الخلايا

المختلفة التي في الجسم الحي . او كعناصر الناس في امة . واذا توسعنا في التفصيل والتحليل وجدنا ان الجسم الحي الاعلى يؤلف من جماعات من اخلايا . وكل جماعة تؤلف من جماعات من اخلايا ايضاً . حتى انهُ يمكننا ان نقول ان الخلية نفسها تؤلف من جماعات من المواد والدقائق والجواهر الكيماوية

سابعاً ان تحالف الافراد او الجماعات يستلزم حتماً نشوء نظامات لحفظ كيانها

ثامناً ان هذه النظامات تتعدد وتتفرع بتعدد الافراد والجماعات . فالحاجة تستلزم النظام والنظام يستلزم تحالف الافراد للقيام بهِ . وسواء كان الامر هكذا او بالعكس فالامر الذي لا ريب فيهِ ان النظام وتحالف الافراد يشآن معاً

٢ — نشوء الاجتماعية البشرية

كيف ورثت الهيئة الاجتماعية ناموس المجتمع من الجسم الحي * اذا أُصيب عضو من اعضاء الجسم الحي بآفة كالجرح او الكسر او الصدع في اجهزتهِ المختلفة (التي سمَّيناها نظامات) استعداد لاصلاح تلك الآفة كأنَّ جمهور تلك اخلايا يشترك معاً في لأم الجرح وجبر الكسر واذا تطرَّقت الى الجسم جراثيم مرضية لمقاومة حيويتهِ كجراثيم الامراض المختلفة تعاونت خلاياهُ جميعاً على مقاومة تلك الجراثيم

ولكن اذا اصيب الجسم بعطب خطير يقعدهُ كلهُ عن الحركة ويعجزهُ عن تحصيل رزقهِ وان كان هذا العطب لم يلحق كل اعضائهِ او جميع اجهزتهِ فان لم يعاونهُ جسم آخر على تحصيل رزقهِ ودرء الاذى عنهُ ريثما يشفى من علتهِ فلا بد ان يضعف ويموت . واذا كان الفرد من افراد الاحياء الراقية في بيئةٍ يتعذر عليهِ فيها تحصيل رزقهِ وحدهُ لسبب من الاسباب كأن ينازعهُ الرزق فردٌ آخر او كأنَّ الرزق لا يحصل الاَّ بتعاون جماعة من الافراد كرزق النمل الذي لا يتيسر الاَّ في وقت الحصاد او كرزق النحل الذي لا يتيسر الاَّ في الربيع ولا بد من جمعهِ وادخارهِ وحمايتهِ — اذا كان الامر كذلك ولم تتحالف وتتعاون هذه الافراد فلا بد ان تهلك جوعاً

فترى مما تقدم من الامثلة ان في الطبيعة احوالاً متقلبة تقضي على افراد الاحياء (المؤلفة من خلايا عديدة) ان تتحالف وتتعاون لكي تحفظ بقاءها . ومن هذه الامثلة نرى ايضاً كيف ان ناموس التحالف والتعاون تسلسل من جماعة اخلايا الى جماعة الاجسام المؤلفة من تلك اخلايا . اي ان مملكة الجسم الواحد بما فيها من شعب اخلايا الحية المتعددة وبما لها من النظامات المختلفة اضطرت في عهد من عهود رقيها لتقلب الاحوال عليها ان تتحالف مع

ممكنة جسم آخر بل مع ممالك اجسام اخرى من نوعها وان تتعاون هذه الممالك على تحصيل رزقها وصون حياتها

تكوّن الامم والممالك * وعلى هذا النحو تحوّل الانسان في بدء انسانيته من حال العزلة والانفراد الى الاجتماع والتعاون لان الاحوال المحيطة به اضطرته اليها ونتيجتها اشعرته بفائدتها وافضليتها على الحالة الاولى فرغب فيها

فاذا قلنا ان الهيئة الاجتماعية ورثت ناموس التحالف والتعاون بنظاماته من الهيئة الاجتماعية الجرثومية فلا يكون القول مجازاً لتزويق الكلام وتحليته وانما هو حقيقة علمية راهنة

واذا جئنا نشرح تاريخ رقي الهيئة الاجتماعية الانسانية الطبيعي وجدناه متمشياً على ناموس رقي الهيئة الاجتماعية الجرثومية تماماً ووجدنا نظامات تلك منطبقة تمام الانطباق على نظامات هذه ورأينا مبدأ واحداً يدخل في كل حلقات رقي الاحياء من ادناها الى ارقاها دخول السمط في العقد · واليك البيان الموجز لتاريخ رقي الهيئة الاجتماعية البشرية الطبيعي

انهُ لأمر طبيعي ان يبتدئ التحالف بين الذكر والانثى لوجود روابط طبيعية بينهما حتى انك لتجد هذا التحالف بين ازواج الطيور في عهد الحضانة اذ يتناوب ذكر بعض الطيور وانثاها حضانة البيوض ويتناوبان ايضاً تغذية فراخهما الى ان تبلغ

ثم امتدَّ هذا التحالف الى ما بين الابوين والبنين لروابط اخرى طبيعية · وهكذا نشأت العائلة · وعلى هذا النحو امتد التحالف الى ما بين الاحفاد حتى تألف السبط

والتنازع الطويل بين الاسباط المتعددة المتجاورة افضى اخيراً الى انقسامها الى حزبين او احزاب وكل حزب تألف من اسباط فتكوّنت القبيلة · وعلى هذا النحو نشأت الامم والممالك

ولكن ليس غرضنا ان نبين نشوء القبائل والممالك فقط وانما غرضنا ايضاً ان نبين نشوء النظامات التي تربط جماعتها بعضها ببعض لتكون كلها جسماً اجتماعياً يعمل افرادهُ معاً لمصلحة الجمهور

لما كان الفرد مستقلاً بنفسه يعمل وحدهُ لمصلحته كان مطلق الحرية فكان يسعى وحدهُ الى رزقه ويتنازع غيرهُ الرزق ويدافع عن نفسه وعن رزقه بلا قيد ولا قانون · ولكن لما حالف غيرهُ اضطر ان يخضع لقانون المحالفة فضاقت حريتهُ قليلاً ورضي بتحديدها لانهُ رأى ان مصلحتهُ صارت اضمن لهُ مما كانت في عهد اطلاق حريته · وصار كلما اتسعت دائرة التحالف ضاقت دائرة حريته ولكن صارت سعادتهُ اضمن اذ يتوفر الامن ويقل التعدي ويتوفر الرزق بتعاون الافراد وتضامنهم

ولا يخفى ان اتساع دائرة التحالف الذي افضى الى ضم عدد عديد من الافراد في جسم اجتماعي واحد لكي يتعاونوا على تحصيل رزقهم والدفاع عن كيانهم افضى ايضاً الى توزيع العمل عليهم بحيث يقوم كل فرد او كل جماعة بنوع منهُ . وتوزيع العمل استلزم تنظيم النظامات وتأييدها بقوانين . وهكذا نشأ جسم اجتماعي يشابه الجسم الجرثومي مشابهة شديدة الاَّ انهُ غير تام مثلهُ

التشابه والتخالف بين الجسم الحي والهيئة الاجتماعية * اما وجوه المشابهة الشديدة بين الجسمين فهي : —

اولاً وحدة النظام العام المسيطر ووحدة الغاية منهُ وتوافق النظامات التي ضمنهُ فان نظامات الحكومة مجتمعة الاصول تحت سيطرة الحاكم الاعلى التي اودعها الشعب في يدهِ إما اختياراً كما في الحكومات الديموقراطية او اضطراراً كما في الحكومات الملكية لاسباب لا محل لبيانها هنا . ومن مقرّ السلطة العليا تتفرع هذه النظامات . وكلها تعمل معاً بالتوافق والتعاون لغاية واحدة هي حفظ كيان الامة واثمارها واسعادها

ثانياً ان هذه النظامات تتفرع وتنشأ ضمنها نظامات اخرى كلما تعددت افراد الامة وتنوعت مطالبها . ولهذا ترى ضمن كل دائرة من دوائر الحكومة دوائر اخرى ضمن كل منها دوائر ايضاً الى عدة درجات . ولكن مهما تعددت دوائر اكبر حكومة فلا يمكن ان تبلغ دوائر الاجهزة التي في الجسم البشري في عددها ولا في دقة نظامها

ثالثاً ان النظامات متداخلة بعضها ببعض حتى انها تصاحب الى جميع الاطراف تقريباً فحيثما توجد الحكمة مثلاً فلا بد من وجود قوة البوليس ولا بد من فرع للمالية وآخر للبريد وآخر للتلغراف الخ . وهذا معنى توافق هذه النظامات في تتائج اعمالها . ولكن في الجسم الجرثومي البشري ترى هذا التداخل اشد حتى انهُ يبلغ الى اقصى الاطراف وادقها

رابعاً ان القائمين بهذه النظامات فئات متمايزة مختلفة . وكل فئة مختصة بتنفيذ نظام دون آخر ولها استعداد لتنفيذهِ دون غيرهِ . فاهل القضاء لا يحسنون الاعمال في المالية . واهل المالية لا يحسنون القيام باعمال الجندية وهؤلاء لا يصلحون للعارف الخ . ولكن هذا التمايز في الجسم الاجتماعي لم يبلغ الى درجة الكمال التي بلغ اليها في مملكة الجسم الحي البشري فان القاضي قد يمكن بالتمرّن والتدرب ان يكون مالياً او جندياً . اما خلية العضلة فلا يمكن ان تصلح للعمل في المجموع العصبي لانها مهيأة منذ نشوئها لان تكون في النسيج العضلي فقط . ولهذا تستطيع ان تقوم بوظيفتها أتم قيام خلافاً للقاضي الذي استنفد في صباهُ واول شبابهِ

معظم قواهُ في الاستعداد العمومي ولم يستعد الاستعداد التام لشيء خاص الاَّ بعد ان استنفد تلك القوى . ولا تستطيع اية دولة ان تكون ملكة النحل ولكن اي فرد من الناس يحتمل ان يكون رئيس جمهورية او حاكماً . فاستعداد الفرد العام لامور كثيرة في وقت واحد قد يقيدهُ شخصيًّا ولكن لا يقيد المجموع كما لو انحصرت قواهُ منذ نشوئهِ في الاستعداد لامر خاص . وربما كان السبب الاكبر في مد أجل دول الفراغنة توزُّع الاعمال على طبقات الامة توزُّعاً الزاميًّا قضى بان يكون ابن الصانع صانعاً وابن الزارع زارعاً وابن الجندي جنديًّا . ولولا ما في هذا القانون من الحيف اذا لو كان النظام اشتراكيًّا بحتاً بحيث تتوزع الارزاق على الافراد كما تتوزَّع الاعمال لكان النظام امتن لما فيهِ من الاقتصاد في الوقت ومن تحسين المواهب وترقيتها

خامساً ان النظام الزامي . فلا يستطيع احد عصيانهُ ولا يستطيع احد او جماعة الانفصال منهُ والاستقلال عنهُ . والزاميتهُ هذه هي الضمانة الاولى لحفظ وحدة الجسم الاجتماعي وحفظ كيانهِ . ولولاهُ لتبعثرت افراد المجموع

ولكن نظامات الجسم الجرثومي اشد الزامية فان اعضاء الجسم وخلاياهُ خاضعة لها خضوعاً مطلقاً حتى ان نظام العقل الذي هو زعيم هذه النظامات تتربَّا خاضع لها ايضاً . والارادة لا سلطة لها الاَّ على بعض الاجهزة والاعضاء التي يتَّصل عملها بالعالم الخارجي ولا سلطة لها على اي عمل من الاعمال الحيوية القائمة في داخل الجسم . فالدورة الدموية والعمل الهضمي والتمثيل والافراز الخ كل هذه اعمال مستقلة عن الارادة وما الارادة الاَّ وظيفة من وظائف الجهاز الدماغي كسائر وظائف الجسم

وخضوع جميع افراد الجسم الجرثومي البشري للنظام العام وعملها كلها متعاونة بلا تنازع او تعارض جعل الجسم في حالة صحية مطلقة من الداخل فلم يبقَ من موجب لقوة البوليس ولا للقضاء . ولا يحتاج الجسم الى قوة الدفاع الاَّ عند مقاومة العوادي الخارجية او التي تتطرَّق الى داخلهِ من الخارج

اما الزامية النظام في الجسم الاجتماعي فمقصورة على النظامات التي ترمي اولاً الى ربط افراد الامة بعضهم ببعض ربطاً الزاميًّا . ثانياً حفظ الامن العام واقامة قسطاس العدل بينهم . ثالثاً دفاع الامة عن نفسها من غارات الامم الاخرى . رابعاً تدبير الشؤون العمومية التي تؤول الى اسعاد الافراد خصوصاً

اما الاعمال الاقتصادية فمتروكة لحرية الافراد يتسابقون فيها ويتنازعون كما يريدون ولكن ضمن دائرة واسعة من القوانين بحيث يتجنب اختلال الامن او الفوضى في الداخل . وهنا نقطة الخلاف الجسيم بين النظام الجرثومي والنظام الاجتماعي . فان نظامات الجسم الجرثومي اقتصادية اكثر منها ادارية لحفظ الامن . ونظامات الجسم الاجتماعي على الضد من ذلك اي انها ادارية لحفظ الامن اكثر جداً منها اقتصادية

ولذلك يُعَدُّ نظام الجسم الجرثومي اشتراكياً محضاً . بل هو خير مثال لنظام الاشتراكية . ولا تعتبر الهيئة الاجتماعية في امة الاشتراكية الأممي الطبقت نظاماتها على نظامات الجسم الجرثومي تمام الانطباق

نقولا حداد

بحث مالي

— ٢ —

الاملاك الأميرية

﴿ فذلكة تاريخية مالية ﴾ كانت الدول قديماً قائمة على اساس سلطة الملك المطلقة فلم يكن للامة نواب مسؤولون عن كيفية وضع الضرائب وجبايتها وصرفها كما لم تكن للدولة ميزانية تسير بموجبها فكان دخلها العمومي ممتزجاً باموال الملك الخصوصية المجتمعة في الخزينة . فالخزينة هي مجموع اموال الملك الخصوصية مع ما يفرضهُ على المقاطعين (الولاة المستقلون) من الضرائب ليوزعوها على من هم تحت سلطتهم . فكان هؤلاء المقاطعون يحمّلون الامة فوق طاقتها بالنسبة الى شدة طمع الملك واسرافه وتبذيرهم . ثم تجتمع هذه الاموال في الخزينة ليصرفها الملك كما يشاء . فجباية الاموال عن الاراضي سنّة قديمة ترجع الى زمن المقاطعين ثم هذبها العلم ووضعها تحت النظام الحالي . ولا يزال اصحاب الاراضي اليوم يشكون ويستثقلون هذه الاموال ويرغبون في ابطالها على انهم مفرطون في دعواهم فلا غنى للحكومة عن هذه الاموال بعدما كثرت الاحتياجات المدنية العمومية . ومن يتتبع تاريخ جباية هذه الاموال يرى فرقاً عظيماً بين الماضي والحاضر لان المقاطعين لم يكونوا ليكتفوا بوضع الضرائب على الاراضي بل كانوا يأخذون فوقها عشر قيمة الارض عند انتقالها من يد الى اخرى وهذا ظلم فاحش لان المقاطع يأخذ قيمة الارض كلها اذا انتقلت من يد الى اخرى عشر مرات